وداع واستقبال الحجاج
فقهاً وتاريخاً

التدقيق اللغوي

سيد المهدي أحمد

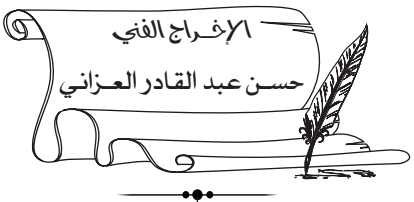

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

ISBN 978 - 9948 - 499 - 43 - 5

حقوق الطبع محفوظة

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+ فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
mail@iacad.gov.ae www.iacad.gov.ae

دائـــرة الشـــؤون الإســـلامية والعمـــل الخيـــري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department

حكومة دبي
GOVERNMENT OF DUBAI

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

وداع واستقبال الحجاج
فقهاً وتاريخاً

إعداد

أ. د. عبد الله البشير

إدارة البحـــوث

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعد: فيسر « **دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي - إدارة البحوث** » أن تقدِّم إصدارَها الجديد « **وداع واستقبال الحجاج - فقهاً وتاريخاً** » لجمهور القراء عامة، ولمن يرغب في أداء هذه الفريضة الجليلة من الجنسين، وإلى كل متطلع إلى المعرفة والاستزادة منها.

ولما كان الحج لبيت الله الحرام شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام، فقد أولاه العلماء كل عناية واهتمام وأفردوا فيما يتعلق به كتباً ومصنفات.

ويجيء هذا الكتاب للتعريف بأدب وداع الحجاج واستقبالهم -فقهاً وتاريخاً- ويقدم نماذج من الموادعة والاستقبال تنبئ عن عظيم تقدير الأمة لهذه الشعيرة العظيمة.

وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشكر والدعاء **لأسرة آل مكتوم** حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله، وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي مقدمتها **صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم**، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي يشيد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي ويشجع أصحابه وطُلابه . راجين الله العلي القدير أن ينفع الأمة بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وأن يوفق الجميع إلى مزيد من العطاء على درب التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على النَّبي الأمي الخاتم سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مدير إدارة البحوث

الدكتور سيف راشد الجابري

مقدمة

الحمد لله العزيز الغفار، وأشهد أن لا إله إلا الله، يكور النهار على الليل، ويكور الليل على النهار، عصم عباده بالأذكار، ومحا عنهم - بكمال قصدهم له - الأوزار والأغيار، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الأطهار، وبعد:

فالحج نعمة كبرى، لا يدرك قدرها إلا مؤمن، ففي الحديث عنه قال ﷺ: «من حج لله، فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»[١]، وتفضل الله على غير آمِّيه، فغفر لمن صام يوم عرفة، فقد ورد قوله ﷺ: «يكفر السنة الماضية والباقية»[٢].

(١) صحيح البخاري (٢/ ٥٥٣).
(٢) صحيح مسلم (٢/ ٨١٩).

وأما فوائده، فأكثر من أن تحصى، ومما ذكروه منها: كونه - أي الحاج - مجيباً لأبينا إبراهيم عليه السلام، واقتداؤه بالنبيين وختامهم سيدنا محمد ﷺ، وقيامه مقام الجهاد، ونفيه الفقر والذنوب، وإجابة دعائه، ومعافاته في الدنيا، والمغفرة عند لقائه الحق تعالى، وأن نفقته مخلوفة ومضاعفة، وأن الله تعالى يباهي بهم - الحجاج - ملائكته، وأنها تصافح راكبهم وتعانق ماشيهم، وأنه تعالى ينزل على الحجاج بمكة عشرين ومائة رحمة، ستين منها للطائفين، وأربعين للمصلين، وعشرين للناظرين، ومن مات منهم في طريقه لم يعرض للحساب، ويجري عليه أجر الحج إلى يوم القيامة، وأنه يكفر الذنوب جميعا[1]،

(١) أخرجاه في الصحيحين.

وغـير ذلك من الفوائد التي لا يحمد عليها إلا رب النعمة ومولاه ومسديها.

ولما كانت قوافل الحج - عبر التاريخ - عنوانا لتواصل الأمة وترابطها، فقد شهدت حركتها علاقة وثيقة بين الحال والمرتحل - وداعاً ولقاءً - ولم تتجرد تلك اللحظات - مطلقاً - عن الإيمان ودلالاته.

وقد رأيت في نماذج الموادعة والاستقبال - والتي قوبلت بها قوافل الحجيج عبر التاريخ - ما يهيج الخواطر الإيمانية في اقتناص هذه اللحظات، وأن لا تمر هذه المناسبة الجليلة من غير أن تنال منها الأمة ما يليق بها من بركاتها وتجلياتها.

❁ ❁ ❁

أولاً: مفهوم الحج (مقدمة تشريعية)

الحج لغة: القصد، وأما اصطلاحا، فحضور جزء - أي جزء كان - بعرفة، ساعة من ساعات ليلة يوم النحر، وطواف بالبيت العتيق سبعاً، وسعي بين الصفا والمروة كذلك، بإحرام .اهـ، وأشهُره: شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة[١].

وقد وردت نصوص كثيرة تناولت الحج - تشريعاً وتذكيراً وتنويهاً - قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[٢]، وفي الحديث عنه قال ﷺ: «بني الإسلام على خمس.. ومنها: وحج البيت»[٣].

❁ ❁ ❁

(١) الشرح الصغير، لأبي البركات الدردير (٣/ ٣٤٦).
(٢) سورة آل عمران (٩٧).
(٣) صحيح البخاري (٦/ ٢٦).

ثانياً: مكة والبيت الحرام (مكانة تاريخية)

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾[١]، وأول ما بنته الملائكة عليهم السلام، ثم آدم عليه السلام، ثم إبراهيم عليه السلام، ثم العمالقة، ثم قصي - جد النبي ﷺ - ثم قريش، وكان عمره ﷺ وقتها خمساً وعشرين عاماً، ثم عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، ثم أعاد الحجاج بن يوسف بناء ما تهدم منه، وما سواه فهو بناء ابن الزبير، وهو الموجود والباقي إلى يومنا هذا .اهـ[٢].

وأما مقام إبراهيم عليه السلام، فهو الحجر الذي كان يقف عليه عند بناء البيت، أو هو: الحجر الذي وقف عليه

(١) سورة آل عمران (٩٦).

(٢) بناء الكعبة البيت الحرام، للمقريزي (صـ٤٢) وانظر: الكعبة والحج في العصور المختلفة (صـ٢١).

حين أذن للناس بالحج .اهـ، قال ابن جزي: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾[١]، قيل: هي مناسك الحج .اهـ[٢].

وقد كان البيت - وما زال - محل تعظيم عند أهله، قال المسعودي: ولم يزل من وصفنا من قبائل العرب يؤرخون بالأمور المشهورة.. ثم قال: وأرخ بنو إسماعيل من بناء البيت حين بناه إبراهيم وإسماعيل، فلم يزالوا يؤرخون بذلك حتى تفرقت معد .اهـ[٣].

وحيث أدرك العرب عظمته، فقد استعاذوا به ولاذوا، قال أبو طالب عم النبي ﷺ:

---

(١) سورة البقرة (١٢٤).
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (صـ٢٥٨) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٥/ ٤٦٠).
(٣) التنبيه والإشراف، للمسعودي (١/ ٧٧).

أعـوذ بـربّ النـاس من كـلّ طـاعن

عـلـيـنـا بـســوء أو مُـلـحّ بـاطـلِ

وبالبيت ، حق البيت ، من بطن مكّة

وبـالله إنّ الله لـيــس بـغـــــافـــل

❁ ❁ ❁

ثالثاً: آداب السفر إلى الحج

السفر هجرة - حسية ومعنوية - وقد ربطها الشارع بالنيات، ففي الحديث: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[١]، ومع اختلاف دواعيه، فقد نص الفقهاء على دورانه على الأحكام التشريعية المعلومة[٢]، ومما لا شك فيه أن من أعلاها وأولاها ما كان لتحصيل واجب شرعي.

ولما كان الحج - بقسميه - سفراً فمن الممكن تداخلهما أدباً وحكماً، وحيث تناول المصنفون آداب

(١) إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد (١/ ٦١).

(٢) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، لمحمد جمال الدين القاسمي (صـ١٥٥).

السـفر، أدرجوا فيها آداب الحج، ومن أهم ما أحصوه من آداب الحـاج: رد الحقـوق - مظلمـة أو دينـا - إلى أهلها، وتوبتـه[١]، وكتابـة وصيتـه، وتفقهه في أحكامـه، واختيار الرفيـق الديّن، وتجهيز نفقته من طيّب ماله، ووداع صحبه وأهله - داعياً بدعاء الوداع النبوي - وأن يسـتودع الله ما يخلفه - مالاً وأهلاً - وأن يسـبق كل ذلك اسـتخارة ربه، وأن لا ينسـى دعـاء الخروج مـن الدار، وأن يسـتصحب مـا كان ﷺ يصطحبـه في أسـفاره، وهنـاك آداب متعلقـة

(١) قـال الشـيخ بـشرى بـن أبي محمـد (المنحـة الإلهيـة صـ٤٥) فاسـتغفر الله بسـتة معـان، أولهـا: النـدم، وثانيهـا: عـدم العود أبـداً، وثالثها: الإقلاع حالاً من كل زلل، ورابعها: أن ترد الحق لصاحبـه، وخامسـها: أن تذيب جسـمك وتبدلـه بلحم جديد حـلال، وسادسـها: أن تذيق نفسـك مـرارة الطاعة كـما أذقتها حلاوة المعصية .اهـ.

بزمانـه ودابتـه ومكانه - تراجع في مظانهـا - وكان بعض أهل العلم لا يقصد من أسـفاره إلا أن يتحقق - مسـتلذاً - بـما في الدعـاء المأثور الوارد في حديثـه ﷺ: «اللهم أنت الصاحـب في السـفر...» الحديـث، وللقفـول آداب غـير آداب الذهاب، وقد يشتركان[1].

❁ ❁ ❁

(١) الغـرر السـوافر عـما يحتاج إليـه المسـافر، لبدر الديـن الزركشي (صـ٥١).

رابعاً: قوافل الحج والتجارة

أذن الله تعالى بالتجارة واكتساب المنافع في الحج، قال تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾، قال القرطبي: أي المناسك - كعرفات والمشعر الحرام - وقيل: المغفرة، وقيل: التجارة، وقيل: هو عمومٌ، أي ليحضروا منافع لهم، أي ما يرضي الله تعالى من أمر الدنيا والآخرة، قاله مجاهد وعطاء، واختاره ابن العربي، فإنه يجمع ذلك كله من نسك وتجارة ومغفرة ومنفعة دنيا وأخرى، ولا خلاف في أن المراد بقوله: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ التجارة .اهـ[1]، قال ابن جزي: التجارة في أيام الحج أباحها الله تعالى، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: (فضلا من ربكم في مواسم الحج) .اهـ[2].

(١) تفسير القرطبي (١/ ٣٧٤١).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (صـ٢٩٦).

وقد أولى الفقهاء قوافل الحجيج - فقهاً - عناية لا تخفى، وكان من جملة ما ذكروه من الأحكام المتعلقة بها: اعتبارها - بالنسبة للمرأة - في مقام الرفقة المأمونة، وجوّزوا لها السفر معها بلا اشتراط محرم، ففي التاج والإكليل: وقال خليل في مناسكه: ليس من شروط استطاعة المرأة: وجود زوج، أو محرم، على المشهور، بل يكتفي بالرُّفقة المأمونة .اهـ، ومما نقله عن الباجي، قوله: لا يعتبر صحبة زوج، أو ذي محرم، في كِبَرِ القوافل، وعامر الطرق المأمونة .اهـ، ثم قال معلقاً ومنبهاً: هذا في حج الفريضة، وأما في النافلة فلا، وسواء الشابة وغيرها . اهـ[1]، ومما لا يخفى: توقف صحة سيرها مع القوافل على عدمه - أي الزوج أو المحرم - أو تَمَنُّعِه بلا عذر، أو حالت الأعذار دون مرافقته.

(١) التاج والإكليل على مختصر خليل (٣/ ٣٢٩)

وحيث أدركوا تفاوت القوافل - في اعتباراتها - فقد بيّنوا ضابط الأمن فيها، فقالوا: والرفقة المأمونة: الرجال الصالحون، وقيل: حتى يكون بعضهم نساء، ثم قال: وأولى لو اجتمعا .اهـ[١].

وقد شهدت مواسم الحج - عبر التاريخ - ضروباً من المبايعات، ودخلت أراضيه أحمالاً لا تعد من أسواق الأرض ـ شرقاً وغرباً ـ ولربما كان أهل الحرمين يعتمدون في كثير من حوائجهم على ما تجلبه تلك القوافل في مواسم الحج، وقد أشار ابن جبير وابن بطوطة إلى ذلك في رحلتيهما، ولا شك في حصول تبادل تجاري كبير بين القوافل المتوافدة لأداء فريضة الحج.

(١) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني (١/ ٦٥٠)

وربما كانت تلك القوافل التجارية - والتي غالباً ما ترافقها قوافل الحجيج - وراء تعرض الحجاج لهجمات قطاع الطرق، ومما اشتهر أيام الدولة الإخشيدية - كما ذكره ابن إياس - تعرض قوافل الحج المصرية (عام ٣٥٦هـ) إلى نهبٍ طال عشرين ألف بعير[١].

❁ ❁ ❁

(١) وقد خصص ابن إياس فصلا كاملا - في كتابه بدائع الزهور عن الدولة الإخشيدية وملوكها (١/ ٣٢)

خامساً: المواقيت وتعدد طرق قوافل الحجيج

انتشر المسلمون، فتعددت مواقيتهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن النبي ﷺ وقّت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، هُنَّ لهُنَّ، ولمن أتى عليهن من غيرهن، ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أَنشأ، حتى أهلُ مكةَ من مكة[1].

واشتهر عبر التاريخ - من طرق القوافل - أحد عشر طريقاً، وهناك أخرى إلا أنها أقل طروقاً من سابقتها، وقد تداعت القيادة - على مر العصور - إلى خدمتها، وتوفير حوائج القوافل فيها - أمناً وطعاماً - وضارعت في عنايتها سك العملات ورخاء الأسعار، ونحو ذلك مما تتجلى فيه هيبة الدولة وسلطتها.

(١) صحيح البخاري (١٧٤٨).

وكان من أشهرها وأكثرها طروقاً: طريق الحج المصري، وبدؤه - تاريخاً - في العهد العمري، وأما بدؤه مكانا فالفسطاط، ونظراً لتفاوت الأزمنة - أمناً وسلامةً - فقد غيرت القوافل دروبها مراراً، وكانت الفترات اللازمة لقطعها تزداد أو تنقص تبعاً لوعورة الطريق وسلوكه، وإلى هذا الطريق كانت تلتحم قوافل حجيج المغرب والشمال الإفريقي وبلاد الأندلس.

ومع الانشغال بتغطية مترتبات عام الرمادة، فقد تركزت الجهود على حفر مجرى القلزم، وأما في العهد الأموي فقد ظهرت العناية به[1]، وأدخل الفاطميون خدمة النقل البحري عبر القلزم.

(١) درب الحاج المصري في سيناء «دراسة تاريخية آثارية معمارية» سامي صالح عبد المالك، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

ومنها: طريق الحج الشامي، وقد اضطرت القوافل - مراراً وتكراراً - إلى تغيير دروبها، تبعا لاختلاف أمنها وسلامتها.

ومنها: طريق الحج العراقي، وقد تعددت دروبه بتعدد مناطق الارتكاز، فمنها ما كان ينطلق من البصرة، ومنها ما كان ينطلق من الكوفة، وتجلى في هذا الطريق دور القيادة في تخطيط مراحله، فاشتهر درب زبيدة، وقد اضطروا - أحياناً - إلى سلوك طريق القوافل الشامية، تفادياً لهجمات التتار.

واشتهر من طرق القوافل الإفريقية: درب تمبكتو - سواكن، ومنها إلى مكة بحراً، ويسلكه حجاج الغرب الإفريقي، وساعدت الممالك الإفريقية في إحيائه وتأمينه.

وكانت هناك طرق القوافل اليمنية، واشتهر من طرقها: الساحلي، والداخلي - الأوسط - والأعلى، وهو أشقها.

واشتهر من طرق القوافل العمانية طريقان، وقد تلتحم بأحد مسارات القوافل اليمانية، أو بطريق اليمامة، وفيه تلتقي مع قوافل حجاج الخليج والهند، وقد تلتقي في بعض مساراتها بقوافل حجاج العراق من جهة البصرة.

وهناك طريق القوافل البحرينية، والكويتية، وتلتقي في نهاية مسارها بطريق اليمامة المشهور، والذي يعتبر - كما تقدم - ملتقى لكثير من حجاج الجهات المترامية.

ومع تعدد المسالك، واختلاف جهاتها - صدوراً ووروداً - فقد اندمج كثير من حجاج الآفاق فيما تقدم

ذكـره من الطرائـق، وتتراوح الفـترات الزمنية، وتتفاوت الصعوبـات التـي تلاقيهـا القوافل، تبعاً لجهـات الورود والصـدور، وقـد انضـم إلى دروب القوافـل - مؤخـراً - البحـر والجـو، وهما لا يخلـوان من مشـقة، إلا أنها أقل مما يلاقيه حجاج الدروب البرية.

❁ ❁ ❁

سادساً: قوافل الحجيج في دول الخليج

لما كان القرب من أرض الحرمين نعمة كبرى، فقد كان لحجاج الخليج ظهور كبير في ساحة الحجتين، وتجلى هذا منذ إسلام أهله في العهد النبوي[1]، وظهرت في الآونة الأخيرة مصنفات كثيرة ترصد رحلات حجيج أهله عبر التاريخ، وهي وإن اعتمد مؤلفوها - تاريخاً - فترة زمنية ليست بالبعيدة إلا أنها تعطي نموذجاً ومشهداً حياً لتلك الصورة التاريخية لحجيج الخليج، ومساهمتهم في المعونات المالية أو العينية.

ومن أشهر الطرق وأقدمها: طريق اليمامة، وكان سالكاً قبل القرن العاشر الهجري، إلا أنه كان محاطاً

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك، للطبري (٢/ ١٤٥)، وانظر: بلاد البحرين في العصر العباسي الثاني (صـ٤٩).

بصولـة القبائـل، وجبروت إتاواتهـا[١]، حتـى ألغيت مع قيـام الدولة السـعودية، ومـن الممكن اعتبـاره معبرا مهما لأهـالي الخليـج، وقـد تبـارى المؤرخون في وصفـه، كابن إسحاق (ت٢١٦هـ) وابن الفقيه (ت٣٤٠هـ) والهمداني (ت٣٤٤هـ) وياقوت الحمـوي (ت٦٢٦هـ) وابن بهرام (ت١١٠٢هـ) كـما تناولـه المسـتشرقون، وقـد صنفـوا سـالكيه إلى: أهل الـوادي، والقادمين نـزولاً، أو صعوداً - من شرقه -، وآخرها يتناول حجاج الخليج، وأشهر من سلكه من الأمراء: جحدر، وجعيثن، وسيف تنكز[٢].

ولخفائـه وظلمـة مسـالكه فقـد كان المعـوّل فيه على الأدلاء، وقـد ذكـروا عدداً ممن كانت هـذه صناعته، ومن أهـم مـا كان يشـترط فيهم: الديـن والأمانـة، والفصاحة

(١) النفوذ البرتغالي في الخليج العربي (صـ٤٦)
(٢) رحلة ابن بطوطة (٤/ ١٦٩).

والشـجاعة، ومعرفة الأبراج والنجوم، وعادات القبائل، وموارد المياه.

ولما ثبت - تاريخاً - تمتع الخليج - على ترامي أطرافه - بالوسائل البحرية، فقد أظهرت الدراسات التاريخية وصول سفائنه إلى شواطئ البحر الأحمر[1]، وربما تفاوتت مناطقها في اتخاذه من جملة دروبها للوصول إلى الحجاز، وقد دعاهم إلى سلوكه: يسره وقلة مخاطره، وأما ما كانت تسلكه السفائن الخليجية فطريقان، بومباي ثم إلى جدة، وأما ثانيها فالبصرة إلى جدة، ويتخللها - ذهاباً وإياباً - الوقوف بكثير من مدن الساحل، وقد ترسو في بعض السواحل الإفريقية.

❁ ❁ ❁

(١) النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري (صـ٤٣)

سابعاً: دور الدولة في تخطيط وتيسير طرق قوافل الحجيج

طالت قوافل الحجيج - عبر التاريخ - من المشاق جسيمها، ولولا نواياهم العظيمة لما أمكن تحملها، وقد حكى السيد الصديق في رحلته البحرية (عام ١٢٤٨هـ) إلى البيت العتيق ما لاقاه من العنت والمشقة، وأما ما تلاقيه قوافل البر من المشاق والهوائل - طبيعة أو مكتسبة - فلا حد له.

ولما ارتبطت القيادة بالديانة ارتباطاً وثيقاً، فقد نالت أركانها - ومن أبرزها الحج - عناية خاصة من القيادة، وكانت عنايته ﷺ في مرافقة الحجيج ووداعهم ظاهرة، وتبعه على ذلك خلفاؤه رضي الله عنهم، ومما أظهره التاريخ من متابعاتهم لقوافل الحجيج - وداعاً واستقبالاً - لقاؤهم بالتابعي أويس القرني رحمه الله

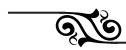

تعـالى، وكان داعيهم إلى كل ذلـك: إدراك ما في الحديث: «فمن لقيه منكم، فليستغفر لكم»[١].

ومما حـكاه التاريـخ: عنايـة أمـير المؤمنـين عمـر بن الخطـاب رضي الله عنه بطرق القوافل، ولما اسـتأذنه أهلها في بناء منازل، اشـترط لابن السـبيل: الظل والماء، ولما ولّى أبا موسـى الأشـعري على البصرة: حفر الآبـار على طول طريق القوافل.

وظهـر في دروب القوافـل الشـامية دور القيـادة في تخطيطهـا، ومن أبرزها عناية خلفاء بني أمية بها - صعودا ونـزولاً - من تحديـد مسـافاتها بالأميال، وبنـاء المنارات والاسـتراحات، وتسهيل عقباتها، وحفر الآبار والقنوات وخزانات المياه على طول الطريق.

(١) صحيح مسلم (٧/ ١٨٨).

ومما اشتهر عبر التاريخ: درب زبيدة - درب الجادة -ومع طروقه قبل الإسلام، إلا أن جهود خلفاء بني العباس زادته شهرة، فجعلوا له والياً خاصاً، وظهرت مسميات وظائفه، كمتولي المنازل، ومتولي نفقات المصانع، وتحديد أمياله ومسافاته، وتم تطويره - مع طوله وصعوبة مسالكه - وأنشئت فيه المرافق والمنازل، وما تحتاجه القوافل من مصادر المياه - على اختلاف صنوفها - وقدرها بعضهم بـ (١٢٣٠) بئراً.

وقد كان للمماليك وسلاطينهم - كالظاهر بيبرس وشجرة الدر - دور كبير في تخطيط دروب الحج، وتجهيز حوائج قوافله.

❁ ❁ ❁

ثامناً: إمارة الحج (ولاية الحجيج)

إمارة الأسفار سنة، ففي الحديث: «إذا كنتم ثلاثة فأمِّروا عليكم أحدكم»[1]، وعهدت القوافل - في تاريخها - الإمارة المؤقتة، وقد كانت قريش تتولى الحج - غلبة - إلى تاسع الهجرة، ثم أناب رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه، ثم أرسل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ليتلوَ سورة براءة، ثم كانت حجة الوداع .

وقد خصص النووي فصلاً كاملاً عن الولاية على الحجيج، ولخص فيه ما ذكره الماوردي في الأحكام السلطانية، ومما ذكره عنه: ولاية الحج على ضربين، أحدهما: يكون على تسيير الحجيج، والثاني: على إقامة الحج، أما الضرب الأول، فهو ولاية سياسة وتدبير،

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٣٥٩).

وشرط المتولي أن يكون مطاعاً ذا رأي وشجاعة وهداية، والذي عليه في هذه الولاية عشرة أشياء.. ثم ذكرها، وأما الضرب الثاني: - أن تكون الولاية على إقامة الحج فيه - فهو بمنزلة الإمام في إقامة الصلاة، فمن شرط هذه الولاية مع الشروط المعتبرة في أئمة الصلوات: أن يكون عالماً بمناسك الحج وأحكامه ومواقيته وأيامه، وتكون مدة ولايته سبعة أيام.. ثم قال: والذي يختص بولايته - ويكون نظره عليها مقصوراً - خمسة أحكام متفق عليها، وسادس مختلف فيه.. ثم ذكرها .اهـ[1].

وبوَّب في التراتيب الإدارية لإمارة الحج، ونقل عن نور النبراس: أن أول من أقام للناس الحج: عتاب بن أسيد رضي الله عنه سنة ثمان من الهجرة، وحج بالناس

(١) حاشية ابن حجر على الإيضاح (صـ٢٥٠).

تلك السنة، على ما كانت عليه العرب في الجاهلية .اهـ، قال الأزرقي: لم يبلغنا أنه استعمله على الحج هذه السنة، فلما كان وقت الحج، حج المسلمون والمشركون، وكان المسلمون بمعزل، يدفع بهم عتاب بن أسيد، ويقف بهم المواقف، وذكر الماوردي - في حاويه في السير - أنه ﷺ لما فتح مكة استعمل عتاب بن أسيد عليها للصلاة والحج، وذكره أيضاً في كتاب الحج، وهذا إثبات لم يبلغ الأزرقي، ثم حج أبو بكر رضي الله عنه سنة تسع .اهـ[١].

قال القاضي عياض: أول من أقام للمسلمين الحج: عتاب بن أسيد سنة ثمان، ثم أبو بكر سنة تسع، وحج ﷺ سنة عشر .اهـ[٢]، وقال ابن العربي: وأما ولاية الحج

(١) التراتيب الإدارية للكتاني (١/ ١١٩).
(٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض (٤/ ١٤١).

فهي مخصوصة ببلاد الحج، وأول أمير بعثه ﷺ: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، بعثه ﷺ سنة تسع قبل حجة الوداع، وأرسله بسورة براءة ثم أردفه عليا رضي الله عنه .اهـ[١].

ومن أقدم ما وثقه المؤرخون من إمارات قوافل حجيج الخليج: ما حكاه ابن بطوطة في رحلة حجه (٧٣٢هـ) وكانت بإمارة: طفيل بن غانم، وقد سلكت حجر اليمامة القديم[٢]، ومنها: قافلة حجاج الإحساء في القرن التاسع الميلادي، وكانت بإمارة أميرها أجود بن زامل الجبري، وممن كتب له التاريخ، وشهدت له الوثائق

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٧/ ٨٤) وانظر: التراتيب الإدارية، للكتاني (١٦٧).
(٢) رحلة ابن بطوطة (١/ ١٣٥)

العثمانيـة بحمايتـه لقوافـل الحجيـج: إبراهيـم بن موسـى المريدي الدرعي الحنفي - شـيخ الدرعية - والمسار الذي يحميه: ما بين بلاد العارض - ذهاباً وإياباً - إلى مكة وكان ذلك العامين (٩٨٠-٩٨١هـ).

ومما ذكره المؤرخون: اجتماع الحجاج على مجموعات، وكل مجموعة منها تسـمى خبرة، ومتـى اجتمع عشر منها - أي عشر خُبَرْ - أمروا عليهم أميراً من أهل البلد.

وقـد تواضعـت قوافل حجيـج الخليج عـلى الخروج بُعيد عيد الفطر بيوم أو يومين، وكانت مغادرتهم مناسـبة توقـت بها الشـؤون المالية عنـد كثير منهـم، كقولهم: عند تثويرة الحج، أو عند نكوفة الحاج، أي عودته.

ومـا اعتاده الخليجيـون - عبر التاريـخ - التوديع أو التبشـير بقدوم الحجيج، وقد ورد في السـنة أخبار الوداع

وآدابه، وسرى هذا في عوائد الناس، وكانت برامجه ترتبط بإعـداد لوازمه - نفقة ورفقة وراحلـة - وقضاء ما ترتب في ذمته من الحقوق.

ومما اعتادته قوافل حجيج الخليج - عند العودة - أن يبعثـوا مبشراً بقدومهم، وتبعاً لتقسيمات القوافل إلى خُبَر - أي مجموعات - فالمبشر إنما يكون عن مجموعته، وتركبه المجموعة ناقة سريعة - ناقة مخف - أو أن يكون هو خفيفاً لا يحمل ما يثقله.

ولعـل في هـذه العـادة عبـادة، فعـن أنس بـن مالك رضي الله عنـه قـال: كان رسـول الله ﷺ: لا يطـرق أهلـه ليلا، يقدم غدوة أو عشـية[1]، ونقل في التراتيب الإدارية: تنافس الصحابة رضي الله عنهم في نقل بشـارة القدوم إلى

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ٢٥٩).

رسـول الله ﷺ، ففـي الأثر: فلما دنـوا - وفد ثقيف - من المدينة ونزلوا قناة، وجدوا المغيرة بن شـعبة رضي الله عنه، فانثـاب ليبـشر رسـول الله ﷺ بقدومهـم، فلقيـه أبو بكر رضي الله عنـه، فقال: أقسـمت عليك بالله لا تسـبقني إلى رسـول الله، حتى أكـون أنا أحدثه، ففعـل المغيرة، فدخل أبو بكر فأخبره بقدومهم عليه[1].

ولا يخفى ما تحمله البشائر من السرور، وما قد يتلقاه حاملهـا مـن هدايا ودعـوات، وليس هـذا بغريب في نهج السـلف، فقـد خلـع كعب بـن مالـك رضي الله عنـه ـ في سورة التوبة ـ ثوبه على من حمل إليه بشارة التوبة، وما كان عليه غيره[2].

❁ ❁ ❁

(١) التراتيب الإدارية، لعبد الحي الكتاني (١/ ٣٩).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨/ ٢٠٤).

تاسعاً: الحج المبرور وبشارة المغفرة

الذنب لازم فطري لابن آدم، ففي الحديث: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»، وفي الحديث أيضاً: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم».

والاستغفار - مطلقاً - لازم شرعي، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾[1]، وأخرج مسلم في صحيحه عن الأغر المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[2].

وقد نشر الله مواسم المغفرة على المسلمين، ودعانا

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨/ ٢٠٤).
(٢) صحيح مسلم (٢٧٠٢).

إلى اغتنامها، وحيث إنها أضحت هدفاً لكل راجٍ - ذكر أو أنثى - فقد تداعى أهل العلم إلى التصنيف فيها - استقلالاً أو تبعاً - كالحافظ ابن حجر العسقلاني، في كتابه: الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة، ومما قاله في مقدمته: فهذه أحاديث نبوية تتبعتها من كتب كثيرة غريبة ومشهورة، وكلها داخلة تحت معنى واحد رائق، وهو العمل بما ورد الوعد فيه بغفران ما تقدم من الذنوب وتأخر على لسان الصادق ﷺ، وقد رتبتها على أبواب، ليسهل كشفها على الطلاب، وسميتها: بالخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة. اهـ[1].

(١) الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة للحافظ ابن حجر العسقلاني، بتلخيص الشيخ محمد بن أبي بكر الديري (مخطوط).

وممن جمع – من علماء الأمة – ما يتعلق بدلائل المغفرة الناجي، والخضيري، والجلال السيوطي، وابن الخطيب الشربيني، وغيرهم.

ومما ارتبط منها بأركان الإسلام: الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، كما في الحديث: «كفارات لما بينهن إذا اجتنب الكبائر»[1]، وتأمين المأموم إذا وافق تأمينه تأمين الملائكة، والإهلال بالحج من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، والحج المبرور، وصيام يوم عرفة لغير الحاج، وقد تقدم تخريجه.

ومما كان منها مطلقاً: ليلة النصف من شعبان، وإسباغ الوضوء، وصلاة التسابيح، والسعي في قضاء الحوائج

(١) المسند المستخرج على صحيح مسلم (٥٥٣)

- قضيت أو لم تقض - والمصافحة عند اللقاء، والصلاة على النبي ﷺ، وغيرها.

وخصص الحافظ ابن حجر كتاباً في مغفرة ذنوب الحاج، وسماه: قوة الحجاج في عموم المغفرة للحاج، ومما قاله في مقدمته: فإني قد سئلت عن علم الحديث الذي أخرج في بعض السنن عن العباس بن مرداس السلمي، في مغفرة الله عز وجل ذنوب الحاج ذي التبعات، وهل هو صحيح، أو حسن، أو ضعيف، يعمل في الفضائل بمثله؟ أو هو في حيز المنكرات، أو الموضوعات؟

والجواب عن ذلك: أنه جاء من طرقٍ؛ أشهرها: حديث العباس بن مرداس السلمي، فخرّج في مسند الإمام أحمد بن حنبل، وأخرج أبو داود في السنن طرفاً منه، وسكت عليه، فهو على رأي ابن الصلاح ومن تبعه:

حسـن، وعلى رأي الجمهور كذلك، ولكن باعتبار انضمام الطرق الأخرى إليه لا بانفراده .اهـ[١].

وعـلى كل، فالمغفـرة بالحـج ثابتـة - مطلقـاً - بنـص الحديث النبوي: «من حج لله، فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»[٢]، وإنما توقف - من توقف - في شمول المغفـرة للمظـالم والحقـوق، وقد تبـين - مما قـرره الحافظ العسـقلاني - ترقيـة الحديـث إلى رتبـة الحسـن، باعتبـار انضمام الطرق الأخرى إليه لا بانفراده.

❁ ❁ ❁

(١) قـوة الحجـاج في عمـوم المغفـرة للحجـاج، للحافـظ ابن حجر العسقلاني (صـ١٨).
(٢) صحيح البخاري (٢/ ٥٥٣).

عاشراً: وداع الحجاج واستقبالهم

دأب السلف - تأسياً - الولوج في كل عبادة شوقاً وارتياحاً، ففي الحديث: «يا بلال أقم الصلاة، أرحنا بها»[1]، وكم حزنوا عند انقضاء أي عبادة، وإن لم تكن تستغرق وقتاً. ولما كان الحج - صغيره وكبيره - عبادة ركنية لازمة، وتمثلت فيه معاني المفارقة - حساً ومعنىً - فالمعنى فيه - حِلاً وارتحالاً - أجلى وأحلى.

وقد يحسب بعضهم أن كتمان السفر - ولو عن إخوانه - من عوامل نجاحه، لكن العكس هو الصحيح، قال في الغرر السوافر: السابع - أي من آداب السفر -: أن يُعْلِم إخوانه، فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد أحدكم سفراً، فليودع إخوانه،

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٩٦).

فـإن الله تعـالى جاعل لـه في دعائهم البركـة»[١]، وعن أبي هريـرة رضي الله عنـه قـال: قال رسـول الله ﷺ: «إذا أراد أحدكم سفراً، فليسلم على إخوانه، فإنهم يزيدون بدعائهم إلى دعائه خيراً»[٢].

وعـن ابن عبـاس رضي الله عنهما قال: من السـنة إذا أراد الرجل سـفراً أن يأتي إخوانه فيسلم عليهم، وإذا قدم من سفر جاء إخوانه، فسلموا عليه، وقال ابن سيرين: من خرج إلى أرض أو بلد، فسلَّم علينا - يعني وادعنا - لزمنا إتيانه إذا قدم علينا، إلا أن نأخذ عليه الفضل .اهـ.

(١) الفوائد المنتقاة عن الشيوخ الثقات، لأبي سعد المظفر (رقم ١٣٥) ولفظه: (إذا خرج أحدكم إلى سـفر)، وانظر: مكارم الأخلاق، لمحمد بن جعفر الخرائطي (جـ٤/ رقم ٧٧٧).
(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لابن الهيثمي (رقم ١٧٠٩٠).

ولعل في الموادعة مصاحبة، وقد لا تعني - في مفهومها الكبير - تباعدهما روحاً، فكم تعلقت القلوب بالمسافر، ولربما سبقته شوقاً وذوقاً، أو اصطحبته أجراً وشهوداً، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك، فدنا من المدينة، فقال: «إن بالمدينة أقواماً، ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً، إلا كانوا معكم»، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة، حبسهم العذر»[1] فهو - أي المسافر - وإن أخذته البراري والقفار، فقد ولج في القلوب والأرواح.

ويستحب طلب الدعاء والوصية من أهل الخير والصلاح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال:

(١) صحيح البخاري (٤٤٢٣)

يا رسـول الله، إني أريد أن أسافر، فأوصني، قال: « عليك بتقوى الله عز وجل، والتكبير على كل شرَف »، فلما أن ولى الرجل قال: «اللهم اطوِ له البعد، وهوِّن عليه السفر»[١].

ويسـتحب الدعـاء عند الـوداع، فعن قزعـة بن يحيى البـصري، قـال: قـال لي ابـن عمـر رضي الله عنهـما: هلم أودعك، كما ودعني رسـول الله ﷺ: « أسـتودع الله دينك وأمانتـك وخواتيم عملـك »[٢]، وعن أبي غالب، وقزعة، قـالا: شـيعنا ابن عمر رضي الله عنهما، فقـال: ما عندي ما أعطيكما، ولكن أسـتودع الله دينكـما، وأمانتكما، وخواتيم أعمالكـما[٣]، وعن عبد الله الخطمي قال: كان النبي ﷺ إذا

(١) سنن الترمذي (٥/ ٥٠٠). وقال: حديث حسن.
(٢) سنن أبي داود (٣/ ٣٤).
(٣) سنن النسائي الكبرى (٦/ ١٣٣).

أراد أن يودع الجيوش قال: « أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم »[١].

قال العلامة الزركشي: وإنما ذكر الدِّين مع الوداع؛ لأن السفر موضع خوف وخطر، وقد يصيبه منه المشقة والتعب، فيكون سبباً لإهمال بعض الأمور المتعلقة بالدين، فدعا له بالمعونة والتوفيق فيهما، وقيل: الأمانة - هاهنا - أهله، ومن يخلفه منهم، وماله الذي أودعه، ويستحفظ أمينه ووكيله ومن في معناه .اهـ.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا ودع رجلاً من أصحابه، قال: « زودك الله بالتقوى، وغفر لك ذنبك، ولقاك الخير حيث توجهت »[٢]،

(١) سنن أبي داود (٣/ ٣٤).
(٢) الغرر السوافر (صـ٦٤).

وفي ابتدائه ﷺ بالتقوى، دليل على حاجة المسافر إلى استصحابها، وفي الحديث: « اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى »[1].

قال في الغرر السوافر: يستحب لإخوانه - أي المسافر - توديعه، ولا بأس بأن يكون هو راكباً معهم وهم مشاة، ولا سيما إذا كان المودَّع كبيراً، ولما وجه النبي ﷺ معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن، كان النبي ﷺ يمشي ومعاذ راكب. وأخرج الحاكم في المستدرك عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما بعث الجيوش نحو الشام - زيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة - مشى معهم حتى بلغ ثنية

(١) صحيح مسلم (٢٧٢١) وانظر: سهل المرتقى في الحث على التقى (صـ٧٧).

الـوداع، فقالوا: يا خليفة رسـول الله، تمشي ونحن ركبان! وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[١].

وعلى كل، فقد كان لتلك البشـارات النبوية بحصول المغفـرة الكاملـة لمن حـج البيت، دور كبـير في تعلق أفئدة المسـلمين باحراز هذه المنـة العظيمة، أو تمنيهـا، أو محاولة ذكره في تلك الأماكن المقدسـة، فعـن عمر رضي الله عنه: أنه اسـتأذن النبي ﷺ في عمرة فأذن له، وقال: « لا تنسـنا يـا أخـي في دعائك »، قـال: فقال لي كلمة مـا يسرني أن لي بها الدنيا. قال شعبة فلقيت عاصماً بالمدينة فحدثنيه، وقال فيـه: (أشركنـا يا أُخَـيَّ في دعائك)[٢]، قـال العيني: وفيه:

(١) المستدرك (٣/ ٨٥) وانظر: الغرر السوافر عما يحتاج إليه المسافر، لبدر الدين الزركشي (صـ٧٥).
(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ٢٥١) سنن أبي داود (١/ ٥٥٥).

استحباب طلب الدعاء من الرجل الصالح، ومن الذي يُريدُ الحج أو العمرة أن يدعو له في الأماكن الشريفة، وأن الدعاء له تأثير، وفيه ردّ لمنْ ينكر ذلك .اهـ[١]. وقال النووي: يستحب أن يدعو له من يودعه، وأن يطلب منه الدعاء - كما ذكرنا في المسألة قبلها - ولحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه السابق ذكره .اهـ[٢].

ومما تنبغي الإشارة إليه هنا: أن دعوة المسافر - والحاج أو المعتمر من باب أولى - مستجابة بنص الحديث، ففي سنن الترمذي - بإسناده - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ثلاث دعوات مستجابات - لا شك فيهن - دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة

(١) شرح أبي داود للعيني (٥/ ٤٠٩).
(٢) المجموع للنووي (٤/ ٣٨٨).

الوالـد على ولده »[١]، وقد تعظم الرغبة في طلب دعائه إن اقـترن - مع كل ما تقـدم - بما أخرجه البخاري في الأدب المفـرد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « أسرع الدعاء إجابة: دعاء غائب لغائب »[٢].

وكيـف لا يطلب منـه الدعـاء، وقد بـشره النبي ﷺ بجـواب دعائـه، فعن جابـر رضي الله عنه قـال: قال ﷺ: « الحجـاج والعـمار وفـد الله، دعاهـم فأجابـوه، وسـألوه فأعطاهم »[٣].

وخصـص النـووي - في المجموع - فصـلا كاملا في آداب وداع المسـافر لأهلـه، أو توديعه فقال: يسـتحب أن

(١) سنن الترمذي (٣٧٨٠).
(٢) الأدب المفرد (٦٣٨)، وانظر أيضاً: سـهام الإصابة في الدعوات المستجابة للسيوطي (صـ٤).
(٣) سنن ابن ماجه (٢/ ٩٦٦).

يودِّع - والحاج أو المعتمر من باب أولى - أهله، وجيرانه، وأصدقاءه، وسائر أحبابه، وأن يودعوه، ويقول كل واحد لصاحبه: استودعك الله، دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك، زودك الله التقوى، وغفر لك ذنبك، ويسر الخير لك، حيثما كنت.

ومما جاء في هذا من الأحاديث: أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يقول للرجل إذا أراد سفراً ادن مني أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا، فيقول: « أستودعك الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك »، وعن عبد الله بن يزيد الخطمي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يودع الجيش، قال: « أستودعك الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم »، وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أريد

سـفراً فزودني، قـال: « زودك الله التقـوى »، فقال: زدني، قـال: « وغفر ذنبك »، قـال: زدني، قال: « ويسر لك الخير حيثـما كنت »[١]، وعن ابن عمـر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « إن الله إذا استودع شيئاً حفظه » .اهـ[٢].

قال الخطابي في معالم السـنن: الأمانة – هاهنا – أهله، ومـن يخلفه منهم، ومالـه الذي يودعه، ويسـتحفظه أمينه ووكيلـه ومن في معناهما، وجرى ذكـر الدين مع الودائع؛ لأن السـفر موضع خـوف وخطر، وقد تصيبه فيه المشـقة والتعـب، فيكـون سـبباً لإهمـال بعـض الأمـور المتعلقـة بالدين، فدعا له بالمعونة والتوفيق .اهـ[٣].

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٢/ ١٠٧).

(٢) السـنن الكـبرى (٩/ ١٧٣) وانظـر: المجمـوع للنـووي (٤/ ٣٨٨).

(٣) معالم السنن، للخطابي (٢/ ٢٥٨).

قال في الفروع: ومن سأل غيره الدعاء لنفعه أو نفعهما أُثيب، وإن قصد نفع نفسه فقط نُهْيَ عنه كسؤال المال، وإن كان قد لا يأثم. - كذا ذكره شيخنا - وظاهر كلام غيره: خلافه، كما هو ظاهر الأخبار .اهـ.

ومن شواهد سنية طلب الدعاء ممن يلتمس صلاحه: ما أخرجه في الصحيحين أن أم أنس قالت: يا رسول الله، ادع الله له، قال: فدعا لي بكل خير، وكان من آخره: « اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه »[1]، قال في شرح مسلم: فيه طلب الدعاء من أهل الخير، وجواز الدعاء بكثرة المال والولد مع البركة فيهما .اهـ[2]، وفي صحيح

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٥٧).
(٢) شرح النووي على مسلم (٥/ ١٦٤).

مسلم: أن النبي ﷺ قال عن أويس القرني: فمن لقيه منكم فليستغفر له... الحديث[١].

قال في حاشية الروض المربع: ويودع أهله وجيرانه، وسائر أحبابه، ويودعونه، ويقول كل منهم: أستودعك الله الذي لا يضيع ودائعه، أو: أستودع الله دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك، زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ويسر لك الخير، حيثما كنت، للأخبار، ويدعو له من يودعه، ويطلب منه الدعاء، فيقول: « لا تنسنا يا أخي من دعائك » أو: « أشركنا في دعائك » .اهـ[٢].

قال في كشاف القناع: وروى أبو الشيخ الأصفهاني وغيره من رواية ليث عن مجاهد، قال: قال عمر رضي الله

(١) الفروع لابن مفلح (٢/ ٤٥٧).
(٢) حاشية الروض المربع لابن قاسم (٥/ ٤٨٩).

عنه: يغفر للحاج، ولمن استغفر له الحاج، بقية ذي الحجة، ومحرم، وصفر، وعشر من ربيع الأول .اهـ. اقتصر عليه في اللطائف[١].

ويسن أن يقول عند منصرفه من حجه - متوجها إلى بلده -: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده »[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً، ثم قال:

---

(١) لطائف المعارف، لابن رجب (صـ١٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٤١١) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثم يقول.. الحديث.

« سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا وأطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل » إذا رجع قالهن، وزاد فيهن « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون »[1].

ولا بأس أن يقال للحاج إذا قدم: تقبل الله نسكك وأعظم أجرك وأخلف نفقتك. رواه سعيد عن ابن عمر . اهـ .

قال في المستوعب: وكانوا - أي السلف - يغتنمون

(١) صحيح مسلم (١٣٤٢).

أدعيـة الحاج قبـل أن يتلطخوا بالذنـوب .اهـ، وفي الخبر: اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج .اهـ[١].

قـال في مطالب أولي النهى: ولا بأس أن يقال للحاج إذا قدم: تقبل الله منسكك وأعظم أجرك وأخلف نفقتك، وقـال الإمام أحمد لرجل: تقبـل الله حجك وزكى عملك ورزقنا وإياك العود إلى بيته الحرام .اهـ[٢].

وإنـما يعود كل ذلـك إلى ما جبلت عليـه النفوس من المحنَّـة والمـودة، ومـا عسـى أن تخلفه لحظـات الموادعة في النفس وما خلفته وراءها – أهلاً ومالاً – فعن أبي سليمان

(١) كشـاف القنـاع للبهـوتي (٢/ ٥١٩) المسـتوعب، للسـامري (١/ ٥٢٧) وفي الحديـث المرفـوع عـن أبي هريـرة رضي الله عنـه: «يغفـر للحاج ولمن اسـتغفر لـه»، قال ابن حجر: إسـناده حسن . اهـ مختصر زوائد مسند البزار (٢/ ٤٣٩).
(٢) مطالب أولي النهى، لمصطفى السيوطي الرحيباني (٢/ ٤٤٤).

مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا النبي ﷺ، ونحن شَبَبَة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا، فأخبرناه، وكان رفيقاً رحيماً، فقال: « ارجعوا إلى أهليكم، فعلموهم، ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة، فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم »[1]، وقال عمرو بن دينار مودعاً أيوب: « لا جعله الله آخر العهد منك .اهـ.

وأما الاستقبال – أي استقبال القادم – فقد شهده الرعيل الأول عند قدومه ﷺ المدينة المنورة – مهاجراً من مكة المكرمة – وقد ودعها، فقال: « ما أطيبك، وأحبك إلي، ولولا أن قومك أخرجوني منك، ما سكنت غيرك »[2].

(١) صحيح البخاري (٥/ ٢٢٣٨).
(٢) المعجم الكبير للطبراني (١٠٦٢٤).

ومما حكته كتب السير والتاريخ: تردد أهل المدينة إياماً إلى مشارفها - وذلك لما بلغهم نبأ خروجه ﷺ مهاجراً إليها - ولما التقوه أنشدوا:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وهكذا كانوا - أي أهل المدينة - في كل وداع ولقاء حتى انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

ومن شواهد استقراره - أي الاستقبال - عند أهل العلم: ما أخرجه البخاري عن أنس بن سيرين قال: استقبلنا أنس بن مالك ، حين قدم من الشام، فلقيناه بعين التمر ، فرأيته يصلي على حمار، ووجهه من ذا الجانب، يعني عن يسار القبلة، فقلت: رأيتك تصلي لغير القبلة؟ فقال: لولا أني رأيت رسول الله ﷺ فعله لم

أفعله[١]، قال ابن حجر: وفيه - أي من فوائد الحديث - تلقي المسافر . اهـ.

ومن شواهد سنية تلقي المسافر - والحجيج من باب أولى - عند قدومهم: ما رواه في صحيح مسلم عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر تُلُقِّيَ بنا، قال: فَتُلُقِّيَ بي وبالحسن أو بالحسين، قال: فحمل أحدنا بين يديه، والآخر خلفه، حتى دخلنا المدينة[٢]، وعنه رضي الله عنه أيضاً قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفرٍ تُلُقِّيَ بصبيان أهل بيته، قال: وإنه قدم من سفرٍ فسبق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيء

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠٤٩).
(٢) صحيح مسلم (٢٤٢٨).

بأحد ابني فاطمة، فأردفه خلفه، قال: فأدخلنا المدينة، ثلاثة على دابة[١].

ومما أخرجه الحاكم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: أقبلنا من مكة في حج أو عمرة، وأسيد بن حضير يسير بين يدي رسول الله ﷺ، فلقينا غلمان من أنصار، كانوا يتلقون أهاليهم إذا قدموا .اهـ[٢]. قال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

وكان من مناهج السلف تلقي الحجيج - وإن لم تكن هناك قرابة - فعن حبيب بن أبي ثابت قال: خرجت مع أبي نتلقى الحاج، فنسلم عليهم قبل أن يتدنسوا[٣]، وقال ابن

(١) الجمع بين الصحيحين، لمحمد بن الفتوح الحميدي (٣/ ٣٣٠).
(٢) المستدرك (١/ ٦٦٣).
(٣) مسند الإمام أحمد (٦٠١٧).

عباس رضي الله عنهما: لو يعلم المقيمون ما للحاج عليهم من الحق لأتوهم حين يقدمون، حتى يقيلوا رواحلهم؛ لأنهم وفد الله في جميع الناس[١].

ومن الترغيب في استقبال الحجيج: ما أخرجه في المسند عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « إذا لقيت الحاج، فسلم عليه، وصافحه، ومره أن يستغفر لك، قبل أن يدخل بيته، فإنه مغفور له »[٢]، قال المناوي: رمز - أي السيوطي في الجامع الصغير - لحسنه، وليس كما قال .اهـ.

ومما أخرجه - في شعب الإيمان - عن خيثمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه قال: إذا قضيت حجك فسل الله

(١) فيض القدير، للمناوي (٦/ ٣٦٢) شعب الإيمان للبيهقي (٦/ ٢٠).

(٢) مسند الإمام احمد (٩/ ٢٧٢ـ رقم ٥٣٧١).

الجنة فلعله[١]، وعن إبراهيم قال: كان يقال: صافحوا الحجاج قبل أن يتلطخوا بالذنوب[٢]، وعن عمر رضي الله عنه قال: تلقوا الحجاج والعمار والغزاة فليدعوا لكم قبل أن يتدنسوا[٣]، وعن حبيب بن أبي ثابت رضي الله عنه قال: كنا نلتقي الحجاج فنصافحهم قبل أن يقارفوا[٤]، أي قبل أن يبدوا منهم ما قد جبل عليه الآدميون.

وأخرج الحاكم - وصححه - عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « إذا قضى أحدكم حجه، فليعجل الرحلة إلى أهله، فإنه أعظم لأجره»[٥]، ومما سبق

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٣/ ٤٨٣).
(٢) الترغيب والترهيب، للأصبهاني الملقب بقوام السنة (٢/ ١٩).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ١٩١).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٤٩١) ولفظه: « كنا نتلقى الحاج بالقادسية ».
(٥) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ٢٥٩).

تخريجه - في أوائل الكتاب - ما أخرجه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزوة أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات... الحديث[1].

ومما أورده في الإحياء: الثالث - أي من آداب السفر - أن يودع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء، وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله ﷺ، قال بعضهم: صحبت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة حرسها الله، فلما أردت أن أفارقه شيعني، وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « قال لقمان: (إن الله

(١) سبق تخريجه، وانظر: الدر المنثور، للسيوطي (١/ ٥٦٨).

تعالى إذا استُودع شيئاً حفظه) وإني أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك »، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كان إذا ودع رجلاً قال: « زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ووجهك إلى الخير حيث توجهت ».

وقال موسى بن وردان: أتيت أبا هريرة رضي الله عنه أودعه لسفر أردته، فقال: ألا أعلمك يا ابن أخي شيئا علمنيه رسول الله ﷺ عند الوداع، فقلت: بلى، قال: قل أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي ﷺ، فقال: إني أريد سفراً، فأوصني، فقال له: «في حفظ الله، وفي كنفه، زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ووجهك للخير حيث كنت، أو أينما كنت».

ومما ذكّر به أهل العلم - في آداب المسافر - أنه ينبغي إذا استودع الله تعالى ما يخلفه: أن يستودع الجمع ولا يخصص.

وقال في موضع آخر: والتشييع للوداع مستحب وهو سنة قال ﷺ: « لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله، فأكتنفه على رحله، غدوة أو روحة، أحب إلي من الدنيا وما فيها »[1].

ومما نص عليه القاسمي - في كتابه موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين - من آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه: بدؤه برد المظالم، وقضاء الديون، وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته، وأن يختار رفيقاً فلا يخرج وحده، وأن

(١) قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك ٢/ ١٠٧) سنن ابن ماجه (٢/ ٩٤٣) إحياء علوم الدين (٢/ ٢٥٧).

يودع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء، وأن يرفق بالدابة، وأن يحتاط إن كان في قافلة فلا يمشي منفردا . اهـ.

وأما في آداب الرجوع من السفر، فقد نص على الدعاء النبوي، وبشارته أو إعلامه أهله بقدومه، وألا يباغت أهله ليلا، وصلاة ركعتين في المسجد أولا، ثم في البيت ثانياً، وحمله لأهل بيته وأقاربه تحفة من مطعوم أو غيره، على قدر إمكانه .اهـ[١].

وخصص ابن الهيثمي - في مجمع الزوائد - بابان في وداع الحاج والمعتمر[٢]، أولهما: باب فيما ما يقال للحاج عند الوداع والرجوع، وأورد فيه عن ابن عمر قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ، فقال: إني أريد

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، لمحمد جمال الدين القاسمي (صـ١٥٧).
(٢) مجمع الزوائد (٣/ ٢١١).

هـذه الناحيـة للحـج، فرفـع رأسـه إليـه، فقـال: « غلام، زودك الله التقـوى، ووجهـك في الخـير، وكفـاك الهـم »، فلما رجع سـلّم على النبي ﷺ، فرفع رأسه إليه، فقال: « يا غـلام، قبـل الله حجك، وكفـر ذنبك، وأخلـف نفقتك » رواه الطبراني في الأوسط.

وأمـا ثانيهما فباب في دعـاء الحجاج والعـمار، وأورد فيـه – ما تقدم تخريجـه – من قوله ﷺ لما اسـتأذنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العمرة: « يا أخي أشركنا في صالح دعائك، ولا تنسـنا »، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « يغفر الله للحاج ولمن اسـتغفر لـه الحاج »[1]، وعن

(١) روي عـن أبي هريـرة رضي الله عنه مرفوعـا: « يغفر للحاج ولمن اسـتغفر له « قال ابن حجر: إسـناده حسـن .اهـ. مختصر زوائد مسند البزار (٢/ ٤٣٩).

أبي موسى رفعه إلى رسول الله ﷺ قال: « الحاج يشفع في أربعمائة أهل بيت - أو قال: من أهل بيته - ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »[١].

ومما بوبه في مجمع الزوائد: باب في تلقي الحاج وطلب الدعاء منه، وأخرج فيه ما تقدم ذكره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا لقيت الحاج، فسلم عليه...» الحديث، وكذلك أخرج فيه - ما تقدم - عن حبيب بن أبي ثابت قال: خرجت مع أبي - رحمه الله - نتلقى الحاج، فنسلم عليهم، وفيه: قبل أن يبدو سواء .اهـ. رواه أحمد، وفيه إسماعيل بن عبد الملك، وهو ضعيف .اهـ[٢].

(١) مسند البزار (٨/ ١٦٩).
(٢) مجمع الزوائد (٤/ ١٦).

ومما بوّبه ابن حجر الهيثمي - أيضاً - باب في آداب رجوعه من سفر حجه[١]، ومما قاله: اعلم أن معظم الآداب المذكورة في الباب الأول - في سفره - مشروعة في رجوعه من سفره، وزاد هنا آداب:

أحدها: السنة أن يقول ما ثبت في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة كبر على كل شرَف ثلاث تكبيرات... الحديث، وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بظهر المدينة، قال: « آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون، فلم يزل يقول ذلك، حتى قدمنا المدينة »[٢].

(١) حاشية ابن حجر على الإيضاح (صـ٢٨٤).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٠٥) ولفظه: « أقبلنا مع النبي ﷺ أنا وأبو طلحة، وصفية رديفته على ناقته.. الحديث ».

الثاني: يستحب إذا قرب من موطنه أن يبعث قدّامه من يخبر أهله، كي لا يقدم عليهم بغتة، فهذا هو السنة.

الثالث: إذا أشرف على بلده، فحسن أن يقول: اللهم إني أسألك خيرها وخير أهلها وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، واستحب بعضهم أن يقول: اللهم اجعل لنا بها قراراً – أو: رزقاً حسناً، اللهم ارزقنا جناها، وأعذنا من وباها، وحببنا إلى أهلها، وحبب صالحي أهلها إلينا، قال النووي: فقد روينا هذا كله في الحديث، وقد أوضحته في كتاب الأذكار .اهـ.

الرابع: إذا قدم فلا يطرق أهله في الليل، بل يدخل البلدة غدوة، وإلا ففي آخر النهار.

الخامس: إذا وصل منزله، فالسنة أن يبتدئ بالمسجد،

فيصلي فيه ركعتين، وإذا دخل منزله صلى أيضاً ركعتين ودعا وشكر الله تعالى.

السادسة: يستحب لمن يسلم على القادم من الحج أن يقول: قبل الله حجك، وغفر ذنبك، وأخلف نفقتك. روينا ذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر للحاج، ولمن استغفر له الحاج» رواه الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم .اهـ[1].

السابع: يستحب أن يقول إذا دخل بيته – ما رويناه في كتاب الأذكار – عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا رجع من سفره فدخل على أهله قال: « توبا توبا لربنا، لا يغادر حوبا »، قلت: توبا توبا: سؤال

(١) المستدرك (١/ ٦٠٩).

التوبـة، أي نسـألك توبـة كاملـة، ولا يغـادر حوبـا، أي لا يترك إثما .اهـ[١].

الثامـن: ينبغي أن يكـون بعد رجوعه خـيرا مما كان، فهـذا من علامـات قبول الحج، وأن يكون خيره مسـتمرا في ازدياد .اهـ[٢].

وأحصى الإمـام الغزالي من آداب المسـافر - من أول نهوضه إلى آخر رجوعه - أحد عشر أدباً، وجعل آخرها في آداب قفوله[٣]، ومما ذكره فيها: حديث قفوله ﷺ - السابق ذكره - ومنها: وإذا أشرف على مدينته، فليقل: اللهم اجعل لنا بها قراراً، ورزقاً حسناً، ثم ليرسل إلى أهله من يبشرهم

(١) أخرجـه ابـن السـني في اليـوم والليلـة والحاكم مـن حديث ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين.
(٢) حاشية ابن حجر على الإيضاح (صـ٢٨٤).
(٣) إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي (٢/ ٢٥٦).

بقدومه، كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكرهه، ولا ينبغي له أن يطرقهم ليلاً، فقد ورد النهي عنه.

وينبغي أن يحمل لأهل بيته وأقاربه تحفة، من مطعوم أو غيره، على قدر إمكانه، فهو سنة، فقد روي: أنه إن لم يجد شيئا فليضع في مخلاته حجراً.

وكأن هذا مبالغة في الاستحثاث على هذه المكرمة؛ لأن الأعين تمتد إلى القادم من السفر، والقلوب تفرح به، فيتأكد الاستحباب في تأكيد فرحهم، وإظهار التفات القلب في السفر إلى ذكرهم، بما يستصحبه في الطريق لهم، ثم قال: فهذه جملة من الآداب الظاهرة .اهـ.

وأفرد ابن المحب الطبري فصلاً كاملاً في آداب الزائر والناسك إذا سافر بعد قضاء الزيارة وأداء

المناسك[1]، ومما قاله: قد تقدمت آداب السفر مستوعبة في ذكر السفر إلى الحج، فليأت بها في رجوعه، ثم قال:

ويستحب إذا قرب من بلده أن يسرع إليها، وان يُقَدِّم إلى أهله من يعلمهم بقدومه، ولا يطرقهم وهم غافلون، ويدخل الباب غدوة أو عشية، ويلقى الصبيان من أهل بيته، ويقول عند دخوله إلى البلد: بسم الله، وبالله، والحمد لله، على طول الأعمار، والتردد إلى الآثار.

وليبدأ بالمسجد، فليصل ركعتين، ثم إذا وصل بيته يصلي فيه ركعتين أيضاً، أول ما يدخل، ثم يسجد شكراً لله تعالى على ما أنعم عليه من قضاء نسكه، وأداء فريضته، وغفران ذنوبه، وجمع شمله، وعوده إلى وطنه، وليكثر من الحمد والشكر.

(١) التشويق إلى حج البيت العتيق، لابن المحب الطبري (صـ٢٨٣).

ويستحب اعتناق القادم، وتقبيله، ومصافحته، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم زيد بن حارثة المدينة، ورسول الله ﷺ بها، فقرع الباب، فقام إليه رسول الله ﷺ عريان، يجر ثوبه، والله ما رأيته عريان قبل ذلك ولا بعده، فاعتنقه وقبله. قال الترمذي: حديث حسن .اهـ[١].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم جعفر وأصحابه تلقاه النبي ﷺ، فقبَّل ما بين عينيه، واعتنقه[٢]، ويروى عن النبي ﷺ: « صافحوا الحاج، قبل أن يدخل إلى بيته، فإنه يرجع مغفورا له ».

(١) سنن الترمذي (٥/ ٧٦).

(٢) روى نحوه ابن أبي شيبة مرسلا عن الشعبي، وأخرجه الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح، كما قال الحافظ الهيثمي، إلا أنه مرسل، ووصله البغوي في معجم الصحابة، وابن عدي في الكامل، والبيهقي في الشعب، من حديث عائشة رضي الله عنها .اهـ. انظر: (تقبيل اليد للغماري صـ٤).

وعـن الحسـن أنه قـال: إذا خـرج الحاج فشـيّعوهم، وزودوهم الدعاء، فإذا قفلوا فالتقوهم، وصافحوهم قبل أن يخالطوا الذنوب، فإن البركة في أيديهم.

فسبحان من أنعم عليهم ببلوغ المامول، وأعاضهم عن مشقة سـفرهم بحسـن الإياب وخلع القبول، وآثار تلك الديار عليهم لائحة، وأنوار غفران الأوزار واضحة:

تفـوح أرواح نجـد من ثيـابهم

عند القدوم لقرب العهد بالدار

يا راكبـانِ قفا لي واقضيا وطري

وخـبراني عنـد نجـد بأخبـار

وليجتهد الآيب من سـفره قبل مفارقة رفيقه وجمّاله: أن يتحلل بعضهم مـن بعض، مما كان بينهم في معاشرتهم

من سقطة، أو عثرة، أو زلة لسان بكلمة فظة، ونحو ذلك، فليس يسلم منه إلا الأقل.

ومتى ذكر واحد منهم رفيقه - يعني بعد المفارقة - فليثن عليه خيراً، وليغُضّ عما سوى ذلك.

وينبغي لمن منّ الله عليه بحج بيت الله الحرام، ونظفت صحيفة عمله بالغفران من دنس الآثام، أن يحذر من العود إلى المعاصي، فالنكسة أشد من المرض.

وليجتنب الغفلة، ويتأهب بعد لقاء البيت لقاء رب البيت، وليكن خيره بعد ذلك في ازدياد، فذلك من علامات القبول.

والمعصية بعد الحج أفحش منها قبله، قال أحمد بن خالد: سمعت محمد بن مخلد يقول: قدمت من الحج،

فدعتني نفسي بعده إلى أمر سوء، فسمعت هاتفاً من ناحية البيت: ويلك، ألم تحج؟ ويلك ألم تحج؟ فعصمني الله بسبب ذلك .اهـ.

وسئل الحسن البصري رضي الله عنه عن الحج المبرور: ما علامته؟ فقال: أن يرجع الشخص زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة .اهـ[١].

وخصص السيد الصديق - في كتاب رحلته إلى البيت العتيق - فصلاً في الرجوع من حج أو عمرة وما يتصل به[٢]، ومما ذكره فيه: حديث قفوله ﷺ[٣]، ثم قال وفيه:

---

(١) التشويق إلى حج البيت العتيق، لجمال الدين محمد بن المحب الطبري (صـ٢٨٣).

(٢) رحلة الصديق إلى البيت العتيق للسيد صديق حسن خان (صـ١٣٧).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ٢٥٩)، وقد سبق ذكره كاملا.

استحباب التكبير، والتهليل، والدعاء المذكور، عند كل شرف من الأرض يعلوه الراجع إلى وطنه، من حج أو عمرة أو غزوة، ويكررها، حتى يدخل البلد.

ويستحب إذا قرب من وطنه: أن يبعث إلى أهله من يخبرهم بقدومه، كيلا يقدم عليهم بغتة، وكره ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلا [١]، وكان ﷺ لا يقدم إلا غدوة أو عشية[٢].

قال النووي: معنى هذه الروايات كلها أنه يكره لمن طال سفره، أن يقدم على امرأته ليلاً بغتةً، فأما من كان

(١) أخرجه في السنن الكبرى (٥/ ٢٦٠) عن جابر رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلا حتى تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة) أخرجاه في الصحيح من حديث شعبة.
(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ٢٥٠).

سفره قريباً تتوقع امرأته إتيانه ليلاً، فلا بأس، كما قال في إحدى هذه الروايات: إذا أطال الرجل الغيبة، وإذا كان في قفل عظيم أو عسكر ونحوهم، واشتهر قدومهم ووصولهم، وعلمت امرأته وأهله أنه قادم معهم، وأنهم الآن داخلون، فلا بأس بقدومه متى شاء، لزوال المعنى الذي نهي بسببه، فإن المراد: أن يتأهبوا، وقد حصل ذلك، ولم يقدم بغتة، ويؤيد ما ذكرناه ما جاء في الحديث الآخر: « أمهلوا حتى ندخل ليلا - أي عشاء - كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة »، فهذا تصريح فيما قلناه، وهو مفروض في أنهم أرادوا الدخول في أوائل النهار بغتة، فأمرهم بالصبر إلى آخر النهار، ليبلغ خبر قدومهم إلى المدينة، وتتأهب النساء وغيرهن .اهـ[1].

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٧١).

وكان من هديه ﷺ إذا رجع من سفره: بدأ بالمسجد، فصلى فيه ركعتين، وكان يأمر أصحابه بذلك، كما في حديث جابر بن عبد الله في قصة البعير، وفيه: أنهم لما قدموا المدينة أمره ﷺ أن يأتي المسجد فيصلي فيه ركعتين، ويستحب إذا دخل منزله أن يصلي ركعتين ـ إن لم يكن وقت كراهة ـ ويدعو عقبهما، ويحمد الله تعالى، ويشكره على ما أنعم عليه من قضاء نسكه، وزيارة نبيه ﷺ، وقبره المنور، وعوده إلى وطنه.

ومن شواهد استقرار الشكر على سلامة قدومه: ما بوّبه أبو داود في سننه للإطعام عند القدوم - أي من السفر - فأخرج بإسناده إلى جابر بن عبد الله قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة نحر جزوراً وبقرة[1]، قال ابن بطال: فيه

(١) سنن أبي داود (٣/ ٣٩٧).

إطعام الإمام والرئيس أصحابه عند القدوم من السفر، وهو مستحب عند السلف، قال ابن حجر: وكان ابن عمر يفطر أول قدومه من السفر، ولا يصوم لأجل الذين يغشونه للسلام عليه والتهنئة بالقدوم .اهـ[1]، وإنما مثّل به لخصوصية التزامه - أي ابن عمر رضي الله عنهما - أمام النبي ﷺ بصيام الدهر، وسماها بعضهم النقيعة، ومما حكاه التاريخ من عادة أهل نجد - قديماً - وليمة السلابة، وإنما تعد للقادم من الحج لأول مرة.

ثم يندب للقادم أن يهدي إلى أهله ما تيسر، ففي شعب الإيمان عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنه ﷺ قال: « إذا قدم أحدكم إلى أهله من سفر، فليهد لأهله ما يطرفهم،

(١) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٢٢٤) وانظر: المجموع للنووي (٤/ ٣٩٧).

ولو كان حجارة »[١]، وعن أبي الدرداء مرفوعاً: « إذا قدم أحدكم من سفر فليقدم معه هدية، ولو أن يلقي في مخلائه حجراً »، وإن كان الحديثان قد ضعفا، فالهدية مطلقا سنة، ولهدية القادم موقع في القلب لا يخفى[٢].

ومن شواهد سنية الهدية – مطلقاً – عند القدوم: ما أخرجه ابن الأعرابي في جزء القبل – بسنده – عن رجل من أشجع يقال له: زاهر بن حرام الأشجعي، قال: كان رجلا بدويا، وكان لا يأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا آتاه بطرفة أو هدية... الحديث[٣].

وينـدب لمن يلقاه من المقيمين أن يصافحه ويعانقه،

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٣/ ٥٠٢).
(٢) رحلة الصديق إلى البيت العتيق للسيد صديق حسن خان (صـ١٣٧).
(٣) تقبيل اليد، للغماري (صـ١٢).

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانوا إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا[١].

ويطلب منه: أن يستغفر له، لما في حديث ابن عمر مرفوعا: « إذا لقيت الحاج فسلم عليه، وصافحه، ومره أن يستغفر لك، قبل أن يدخل بيته، فإنه مغفور له »[٢] وقد تقدم تخريجه، وهو حديث حسن، وهو نظير حثه - ﷺ - على طلب الاستغفار من المريض؛ لأن المغفور له مجاب الدعوة.

ويستحب لمن يسلم على القادم أن يقول له: قبل الله حجك، وغفر ذنبك، وأخلف نفقتك، وليحرص الآتي من سفره قبل مفارقته رفقته على أن يتحلل منهم.

(١) الترغيب والترهيب للمنذري (٣/ ٢٩٠) قال في رسالة ابن أبي زيد القيرواني: وكره مالك المعانقة وأجازها ابن عيينة .اهـ (١/ ١٦١).

(٢) مسند الإمام احمد (٢/ ٦٩، رقم ٥٣٧١).

وليحـذر بعد الحج من مقارفة الذنوب، فإن النكسـة أشد من المرض، وليوف بعهد الله ورسوله ﷺ، ولا يكون كالتي نقضت غزلها.

فعلامة قبول عبادة الحج: أن يكون بعده خيراً مما كان قبله، ويترك ما كان عليه من المعاصي والآثام، وأن يستبدل بإخوانه البطالين إخواناً صالحين، وبمجالس اللهو والغفلة مجالـس الذكر واليقظة، يُروى أن بعض الصالحين قدم من الحج، فدعته نفسـه إلى أمر سـوء، فسـمع هاتفـاً يقول له: ويلك! ألم تحج؟ ويلك! ألم تحج؟ فعصمه الله تعالى بسبب ذلك .اهـ[1].

❁ ❁ ❁

(١) رحلـة الصديـق إلى البيت العتيق (صـ١٣٩) وانظر حاشـية ابن حجر على الإيضاح (صـ٢٤٧).

أحد عشر: نماذج من استقرار الوداع والاستقبال في مناهج الأمة

استجمع المؤرخون شواهد عديدة على استقرار الوداع والاستقبال في مناهج الأمة، وكان من أبرزها - غير ما تقدم - وداع شهر رمضان، وممن صنف فيه الإمام أبو الفرج ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ومن أشهد الشواهد على استقراره منهجاً: حجة الوداع، وهي من أهم الوقائع التاريخية، وقد استمد منها الفقهاء فقه حجه ﷺ، وتداعى أهل العلم إلى التصنيف فيها، كابن المنذر، والطبري، والبقاعي، وابن حزم، وابن القيم في الهدي النبوي، وابن كثير في البداية والنهاية، والشامي في سيرته، والحاتمي في محاضراته[1].

(١) التراتيب الإدارية للكتاني (١/ ١١٤).

وأخرج البخاري خبرها في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها[١]، قال ابن إسحاق: فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة، تجهز للحج، وأمر الناس بالجهاز له .اهـ، واستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي، وقيل: سباع بن عرفطة الغفاري .اهـ[٢].

ومن خطبته ﷺ فيها: « فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا »[٣].

ومن شواهد استقراره - منهجاً - تبويب الهيثمي في مجمع الزوائد باباً في وداعه ﷺ قبل انتقاله إلى الرفيق

(١) صحيح البخاري (١/ ٧١).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٠١).
(٣) صحيح البخاري (٢/ ١٧٦).

الأعلى، وأخرج فيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: نعي إلينا حبيبنا ونبينا - بأبي هو ونفسي له الفداء - قبل موته بست، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها، فنظر إلينا فدمعت عيناه، ثم قال: « مرحبا بكم، وحياكم الله، وحفظكم الله، آواكم الله، ونصركم الله، رفعكم الله، هداكم الله، رزقكم الله، وفقكم الله، سلمكم الله، قبلكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، وأستخلفه عليكم، إني لكم نذير مبين أن لا تعلوا على الله في عباده وبلاده »[1]، ومما أخرجه في مجمع الزوائد: قال جبريل: سلام عليك يا أبا القاسم هذا وداع مني ومنك[2].

(١) مجمع الزوائد (٩/ ٢٥).
(٢) مجمع الزوائد (٩/ ٣٦).

ومما حفظه المحدثون من موادعته ﷺ أمته: ما رواه زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: « أما بعد، ألا أيها الناس، إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به »، فحث على كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال: « وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي »[١].

ومما أنشدته السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها[٢]:

أمسي بخدي للدموع رسوم
أسفاً عليك وفي الفؤاد كلوم

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٨٧٣).
(٢) سلوة الكئيب بوفاة الحبيب ﷺ، لابن ناصر الدين الدمشقي (صـ١٦٣).

والصبر يحسن في المواطن كلها

إلا عليك فإنه معدوم

لا عتب في حزني عليك لو أنه

كان البكاء لمقلتي يدوم

ولا ينبغي أن يغفل الناظر - هنا - تلك المشاهد الحية، والدائمة، والتي تتمثل في طواف الوداع، ودعاء الطائف فيه: اللهم لا تجعل هذا آخر العهد ببيتك المحرم.

ومن أبرزها ـ وأكبرها دلالة على الوفاء ـ زيارة المصطفى ﷺ، ومن نصوصها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1]، ومما أخرجه الحاكم - في نزول عيسى عليه السلام - عن أبي هريرة

(١) سورة النساء (٦٤).

رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « وليأتين قبري حتى يسلم عليّ، ولأردنّ عليه »، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة، وتعليق الذهبي في التلخيص: صحيح .اهـ[1].

وقد تضافرت أقوال الأئمة العلماء على استحبابها وحث الحجيج على عدم تفويت ذلك، قال في الفتاوى الهندية: خاتمة في زيارة قبر النبي ﷺ، قال مشايخنا - رحمهم الله تعالى - إنها أفضل المندوبات .اهـ، وفي مناسك الفارسي وشرح المختار: أنها قريبة من الوجوب لمن له سعة، والحج - إن كان فرضاً - فالأحسن أن يُبدأ به، ثم يُثنّي بالزيارة، وإن كان نفلاً كان بالخيار، فإذا نوى

(١) المستدرك (٢/ ٦٥١)

زيـارة القبر فلينوِ معه زيارة مسـجد رسـول الله ﷺ، فإنه أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال .اهـ[١].

وقـال الإمام النـووي: اعلم أن زيارة قبر رسـول الله ﷺ مـن أهـم القربـات، وأنجح المسـاعي، فـإذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة استحب لهم استحباباً مؤكداً أن يتوجهوا إلى المدينة لزيارته ﷺ .اهـ[٢]، وقال ابن قدامة المقدسي: يستحب زيارة قبر النبي ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما .اهـ[٣]، وقال القاضي عياض: وزيارة قبره ﷺ سـنة من سنن المسلمين، مجمع عليها مرغب فيها .اهـ[٤].

---

(١) الفتاوى الهندية (١/ ٢٦٥).

(٢) المجموع للإمام النووي (٨٢٧٢).

(٣) المغني لابن قدامة (٣/ ٥٩٩).

(٤) الشـفا في التعريف بحقوق المصطفـى (٢/ ٨٣)، وانظر: تبصرة الناسك بأحكام المناسك (صـ١١٦)

ثاني عشر: الشعر والشعراء وتوديع واستقبال الحجيج

ارتبط الحج - قبل الإسلام وبعده - بالشعر والشعراء، لا سيما وأن اللسان القرشي هو المعتمد عند اختلاف اللهجات العربية، وعليه جرى التوجيه البكري في جمع المصحف الشريف، وكانت أسواق العرب - في أيامه - قفولاً أو صدوراً، ميداناً واسعاً لعرض تلك الجهود الشعرية، ومن أبرزها: سوق عكاظ، ومجنة، وذي المجاز، وغيرها.

ومن أبرز صور التوثيق لمشاهد وداع الحجيج في الشعر الجاهلي: قول الجرهمي:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا

أنيس ولم يسمر بمكّة سامر

ومـن الصـور الرائعـة في توديع امرئ القيـس لفراق مكّة والمُحصب، قوله:

فلله عينـا مـن رأى مـن تـفــرق

أشتّ ، وأنأى من فراق المُحصّبِ

وقـد اسـتمد الحجيـج – عـبر التاريـخ – تعظيمهـم مـن تعظيـم رب البيت، فـكان للحـاج مهابتـه وحرمته، ولمـا اسـتعدى أُميّـة بـن حرثـان الليثـي أمـير المؤمنـين عمر بـن الخطـاب رضي الله عنه – عـرّض بالبيت ورهبة الدعاء فيه – فقال:

سأستعدي على الفاروق رباً

له عمـد الحجيـج إلى بُسـاق

إذا الفـاروق لم يـردد كـلابا

إلى شـيـخـين هـامهما زواق

وعلى كل، فقد كان للشعر دور كبير في توثيق صور ومشاهد وداع الحجيج واستقبالهم، قال الشاعر الخزاعي - واصفاً تلك المشاهد -:

تفرق أهواء الحجيج على مِنى

وصدعهم شعب النوى صُبح رابعِ

فريقان : منهم سالك بطن نخلة

وآخر منهم سالك بطن تضرعِ

فلم أر داراً مثلها دار غبطة

وملتقى إذا التف الحجيج بمجمعِ

ويقول بعضهم واصفاً مشاهد الوداع لتلك الأماكن المقدسة:

ولما قضينا من منى كلّ حـاجة

ومسح بالأركان من هو ماسح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

وسالت بأعناق المطي الأباطح

ومن شـهيرات القصائـد: قصيدة الذهبيـة في الحجة المالكيـة والـذروة المحمديـة، لأبي بكر محمد بـن محمد بن عبد الله بن رشد البغدادي، ومنها:

فهاتيك أيــام الحيـاة وغيرهـا

ممات فياليت النوى ما شهدناه

نحنّ إلى تلك الربوع تشوقاً

ففيها لنا عهـد وعقد عقدناه

وتجـول مصـوّراً في قصيدته كل المشـاهد التي يمر بها الحجيج، ومما قاله في الدعاء بعد تمام النسك:

فمن طـالب حظـاً بدنيا فما لـه

خــلاق بأخـراه إذا الله لاقــاه

ومن طـالب حسنـا بدنيا لدينه

وحسنـا بأخــراه وذاك يوفــاه

وآخـر لا يبغي من الله حـاجـة

سوى نظرة في وجهه يوم عقباه

ومما قاله في طواف الوداع:

تداعت رفاقا بالرحيل فما تـرى

سوى دمع عين بالدماء مزجناه

لفـرقـة بيت الله والحجـر الذي

لأجلهما صعب الأمـور سلكناه

وودعـت الحجـاج بـيـت إلهها

وكلهم تجـري من الحـزن عيناه

والله لـولا أن نـؤمـل عـــودة

إليه لذقنـا المـوت حـين فجعناه

ومما قاله في طيبة وزيارة سيدنا محمد ﷺ:

ورب الورى لولا محمد لم نكـن

لطيبة نسعى والركـــاب شـددناه

ولولاه ما اشتقنا العقيق ولا قبـا

ولـولاه لم نهـوى المدينـة لـولاه

هو القصد إن غنت بنجد حداتنا

وإلا فما نجد وسلع أردناه

وما مكة والخيف قل لي ولا منى

وما عرفات قبل شرع أردناه

به شرفت تلك الأماكن كلها

وربك قد خص الحبيب وأعطاه

لمسجده سرنا وشدت رحالنا

وبين يديه شوقنا قد كشفناه

وصوّر وداع الحبيب ﷺ، فقال:

وقمنا نؤم المصطفى لوداعه

ولا دمع إلا للوداع صببناه

ولا صبر كيف الصبر عند فـراقـه؟

وهيهـات إن الصبر عـنـه صرفنـاه

أيصبر ذو عـقـل لـفـرقـة أحـمـد

فلا والذي من قـاب قوسين أدنـاه

ثم قال ناصحاً مشوقاً:

فيا صاحبي هذي التي بي قد جرت

وهـذا الذي في حجنـا قـد عملنـاه

فـإن كنت مشتـاقاً فبادر إلى الحمى

لتنظـر آثـــار الحـبـيـب ومـمـشـــاه

فوا أسف الســاري إذا ذكـر الحمى

إذا ربـع خـــير المـرسـلين تخـطـــاه

ووا لهف الآتي بحج وعمرة

إذا لم يكمل بالزيارة ممشاه

يعزى على ما فاته من مزاره

فقد فاته أجر كثير بأخراه

لنغنم تضعيف الثواب بمسجد

صلاة الفتى فيه بألف يوفاه

كذلك فاغنم في زيارة طيبة

كما قد فعلنا واغتنم ما غنمناه

ومن قصيدة لابن القيم:

فلله ذاك الموقف الأعظم الذي

كموقف يوم العرض بل ذاك أعظمُ

ويدنـــو بـه الجبـــار جـلَّ جـلالـه

يُبـــاهي بهم أمـلاكـه فهـو أكـــرمُ

يقـولُ عبـــادي قـد أتـوني محبـــةً

وإني بهـــم بـــرٌّ أجـــود وأكـــــرمُ

فـأشهـدُكـم أني غـفـــرتُ ذنـوبهم

وأعـطـيـتـهم مـا أمَّـلـــوه وأنـعـمُ

ومما قالـه الشـيخ عبـد الرحيـم البرعـي في قصيدته المشهورة:

يا راحـلين إلـى منـى بـقيـــادي

هيجتمـوا يـــوم الرحيـل فـــؤادي

سرتم وســـار دليلكم يا وحـشـتي

الشـوق أقلقني وصـوت الحـــادي

أحـرمتمـوا جفني المنـــام ببعدكم

يا سـاكـنين المنـحـنـى والــوادي

يا رب أنـت وصلتهم صلني بهـم

فبحـقـهم يـا رب فُـك قـيـــادي

فـإذا وصلتم ســالمين فـبـلـغـــوا

منـي السـلام أُهيـل ذاك الـــوادي

ومـمـا أنشـده النزوري - عند قدوم بعـض إخوانه من الحجاج الزائرين - مهنئا[1]:

أهـلا بحجـاج بـيـت الله والحــرم

ماذا لهم من كـرامــات ومن نـعـم

(١) التشـويق إلى حـج البيت العتيـق، لجمال الدين محمـد بن المحب الطبري (صـ٢٨٣)

قـضــوا مـــآربهم مـن حـجـهـم

وأتوا مفضَّلين على خلق من الأمم

فماء زمــزم يستشفي الـعـلـيـل بـه

ونـور أوجههم يهـدي مـن الظـلم

زاروا الـنـبـي وكانوا حول حجرته

يا طيب طـابـة مـن واد ومـن أكـم

يا أيها الركب قد ذاب المشـوق بكم

وفي لـقـائـكـم بـرء مـن الـسـقـم

سـلـو ديـــاركم مـن بعـد فـرقتكم

هـــل لاح فيها سـنـا بـرق لمبـتسم

سـقـــا الـربـوع التي كنتم بها أبـدا

غيـث السماء ومُـنْـهَـلّ من الـديـم

ومما أنشده السيد علوي المالكي[١]:

فيا إخوتي من مثلنا في مقامنا

ومن ذا الذي قد نال ما نحن نلناه

على عرفات قد وقفنا بموقف

به الذنب مغفورا وفيه محوناه

وقد أقبل الباري علينا بوجهه

وقال ابشروا فالعفو فيكم نشرناه

❁ ❁ ❁

(١) نفحات الإسلام من البلد الحرام (صـ١٧٣)

المصادر والمراجع

١- التراتيب الإدارية، لمحمد عبد الحي الكتاني، تحقيق عبد الله الخالدي، دار الأرقم، الطبعة الثانية (بدون).

٢- الرحلة، لابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد، دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ.

٣- الإعلام بأعلام البيت الحرام، للشيخ قطب الدين النهروالي المكي الحنفي، بدون تاريخ.

٤- أخبار مكة شرفها الله تعالى وما جاء فيها من الآثار، رواية أبو محمد إسحاق بن أحمد بن إسحاق بن نافع الخزاعي، محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي (بدون تاريخ).

٥- الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر، محمد لبيب البتنوني، مطبعة الجمالية بمصر، ١٣٢٩هـ.

٦- رحلة الصديق إلى البيت العتيق للسيد صديق حسن خان، دار ابن القيم ١٩٨٥م.

٧- طرق الحج: جسور للتواصل الحضاري بين الشعوب، أ. د. عبد المقصود باشا منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م .

٨- أدب الحجّ في الحجاز و الجزيرة العربية من العصر الجاهلي وحتى نهاية العصر الأُموي للدكتور ابراهيم الجميحي.

٩- قوة الحجاج في عموم المغفرة للحجاج للحافظ أبي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م.

١٠- الكعبة والحج في العصور المختلفة مع اهم مناسك الحج على المذاهب الأربعة تاليف ابو القاسم زين العابدين، مطابع المنار السعودية ١٤٠٥هـ.

١١- الحظ الأوفر في الحج الأكبر للعلامة علي بن سلطان محمد القاري المعروف بملا علي قاري وبحثان آخران في الحج الأكبر، جمعها صاحب الفضيلة المرحوم السيد محمود احمد المدني، امر بطباعتها العلامة المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، مطبعة ندوة العلماء لكنو (الهند).

١٢- الحج للإمام الحافظ عبد الغني النابلسي تحقيق محمود الارناؤوط، دار ابن كثير دمشق بيروت الطبعة الاولى ١٩٨٧م.

١٣- هداية السالك على المناسك للسيد محمد ماضي أبو العزائم، دار المدينة، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٩٨٦م.

١٤- حاشية ابن حجر على الإيضاح للعلامة الشيخ شهاب الدين احمد بن حجر الهيثمي، وبهامشه الإيضاح في مناسك الحج للإمام النووي، دار الفكر، المطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩هـ.

١٥- التشويق إلى حج البيت العتيق لجمال الدين محمد بن المحب الطبري تحقيق الدكتور عبد الستار أبو غدة، دار الأقصى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

١٦- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض (٤/ ١٤١).

١٧- أحكام القرآن لابن العربي، محمد بن عبد الله الأندلسي، دار الكتب العلمية.

١٨- الجامع لأحكام القران، للقرطبي، دار الفكر للطباعة.

١٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لابن أبي بكر الهيثمي، مكتبة القدسي ١٤١٤هـ.

٢٠- بناء الكعبة البيت الحرام، للعلامة احمد بن علي بن

عبد القادر المقريزي، دراسة وتحقيق أ.د. عبد اللطيف بن دهيش، دار البشائر الاسلامية ٢٠٠٥٨م.

٢١- المستوعب، لنصير الدين محمد بن عبد الله السامري الحنبلي، تحقيق أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ٢٠٠٣م

٢٢- سهام الإصابة في الدعوات المستجابة للسيوطي، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة الجندي، القاهرة (بدون).

٢٣- المنحة الالهية والفيضة الربانية والهبة السنية والمنة الواحدية الأحدية والطريقة المحمدية للباء المجرد عن العلم والعمل والحال والحد والعدد الحاج السيد بشرا بن أبي محمد، مطبعة المعاهد، مصر (بدون).

٢٤- نفحات الإسلام من البلد الحرام، للسيد علوي المالكي الحسني، من مطبوعات دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية دبي، ١٤١١هـ.

٢٥- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، تحقيق أ.د. محمد بن سيدي بن محمد مولاي، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٩م.

٢٦- سلوة الحبيب بوفاة الحبيب ﷺ لابن ناصر الدين الدمشقي،تحقيق الدكتور صالح يوسف معتوق، مطابع البيان التجارية دبي.

٢٧- رحلة ابن بطوطة، من مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٧١م.

٢٨- النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري، نوال حمزة يوسف، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ١٩٨٣م.

❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعات

الافتتاحية ٥
المقدمة ٧
أولاً: مفهوم الحج (مقدمة تشريعية) ١٠
ثانياً: مكة والبيت الحرام (مكانة تاريخية) ١١
ثالثاً: آداب السفر إلى الحج ١٤
رابعاً: قوافل الحج والتجارة ١٧
خامساً: المواقيت وتعدد طرق قوافل الحجيج ٢١
سادساً: قوافل الحجيج في دول الخليج ٢٦
سابعاً: دور الدولة في تخطيط وتيسير طرق قوافل الحجيج... ٢٩
ثامناً: إمارة الحج ٣٢
تاسعاً: الحج المبرور مغفرة واستغفار ٣٩
عاشراً: الوداع والاستقبال في مناهج الأمة (وداع الحجاج واستقبالهم) ٤٤
أحد عشر: نماذج من استقرار الوداع والاستقبال في مناهج الأمة ٨٩
ثاني عشر: الشعر والشعراء وتوديع واستقبال الحجيج ٩٦
مصادر ومراجع متنوعة ١٠٩

❁ ❁ ❁